الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل

أ. زياني دريد فطيمة
قسم علم الاجتماع
جامعة باتنة

ملخص:

باعتبار الأسرة هي الجماعة الاجتماعية الأولى فهي تمثل الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي ينمو فيه الطفل، فهي تقوم بتنشئته منذ السنوات الأولى من عمره حيث أنها تلعب دورا فعالا في توفير الشروط الأساسية لنموه من رضاعة وتغذية ونظافة وحنان أي أنها تشبع حاجاته ومطالب نموه البيولوجية والاجتماعية والنفسية.

ABSTRACT :

Sachant que la cellule familiale est le premier groupement social, elle constitue de ce fait le milieu favorable pour l'évolution et l'éducation de l'enfant pour le prédisposer à affronter la vie, en particulier durant la première étape de son existence, cette petite cellule joue donc un rôle essentiel lui favorisant les meilleurs conditions qui lui assurent une croissance homogène depuis sa naissance, à savoir son entretien, sa nutrition et surtout l'assouvissement de ses besoins biologiques sociales et psychologiques.

مقدمة:

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل، حيث أنه يولد عاجزا على توجيه سلوكه، وتمثل الأسرة الحضن الاجتماعي الذي يعمل على توجيهه وتثبيت نموه الجسمي والمعرفي ونضجه النفسي والعقلي والاجتماعي. فبالوجود الاجتماعي للطفل تعمل الأسرة جاهدة على إشباع ورعاية شؤونه، مما يجعله يحس بالطمأنينة والأمان، ابتداء من الأيام الأولى من حياته، حيث أن نموه يبرز من خلال تفاعله مع أفراد أسرته في إطار ثقافة معينة متميزة عن غيرها، مما تتضمنه من لغة وقيم ومعايير سلوكية وعلاقات اجتماعية. وبذلك يتحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، قادر على التكيف مع المجتمع الخارجي. وباعتبار الأسرة جماعة أولية فإنها تعتبر أساس إنجاب الأطفال الواجب رعايتهم وتربيتهم، وبالتالي يمكن القول بأنها تقوم بأسمى الوظائف، والمتمثلة في التربية والتنشئة الاجتماعية للطفل، وقد تتجاوز هاتين الوظيفتين بتوفير المناخ الملائم للطفل والتكفل بكل حاجاته النفسية والاجتماعية والمادية. مما سبق يمكننا طرح التساؤل الرئيسي لهذه المقالة والذي هو كالتالي:«ما هو دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل؟». وسنجيب على هذا التساؤل عبر المحاور التالية – بدأ بتعارف الأسرة التي نوعنا فيها بين تعاريف العلماء العرب والمسلمين، وتعاريف علماء الغرب، وهذه المفارقة جاءت لاختلاف هذه التعاريف (على الرغم من أن الأسرة ظاهرة عالمية) إلا أن مفاهيمها وتعاريفها تنطلق من أنماط ثقافية متعددة الجوانب، مع العلم أنها تتفق مع بعض في الدوافع البيولوجية وتختلف –نوعا ما– في الدوافع الاجتماعية – وسنبرز ذلك أثناء تحليلنا للتعاريف– ثم نتعرف على مفهوم التنشئة الاجتماعية أهدافها ومجالاتها، ثم نتطرق في الأخير إلى الأسرة والتنشئة الاجتماعية للطفل.

-الأسرة:

أ- تعريفها:

1- **تعاريف بعض العلماء العرب والمسلمين** : تعرفها سناء الخولي بأن الأسرة تتكون في مجموعها من ثلاثة أعضاء على الأقل ينتمون إلى جيلين فقط (جيل الآباء و جيل الأبناء) وهي تشمل على شخصين بالغين وهما الذكر والأنثى اللذان يُعْرَفان بأنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال، إلا أنهما يقومان بالالتزامات الاقتصادية تجاه الوحدة الأسرية و كذلك الضغوط الاجتماعية التي تفرض لطاعة هذه القواعد وهذه المعايير للأبناء، الأزواج والآباء طريقة سلوكهم وتعاملهم وشعورهم في هذا النوع من الوحدة الاجتماعية[1]. أما محمود حسن فيرى بأنها تمثل صورة التجمع الإنساني الأول، وهي حماية أولية، بمعنى أنها أساس الإنجاب والتطبيع الاجتماعي للجيل التالي، وهي كذلك الأصل الأول لعادات التعاون والتنافس التي ترتبط بإشباع الحاجات إلى الحب والأمن والمركز الاجتماعي[2].

ويعرفها عبد المنعم شوقي بأنها « نسق اجتماعي يقوم على »:

(1) – معيشة رجل وامرأة أو اكثر معا في مكان مشترك.

(2) – قيام علاقات جنسية يقرها الدين والمجتمع.

(3) – إنجاب أطفال ورعايتهم.

(4) – علاقات متينة تتم بالخصوصية والاستمرار لفترة طويلة.

(5) – سلسلة من الحقوق والواجبات «حقوق الزوج والزوجة والأولاد وواجباتهم إزاء بعضهم وإزاء الغير»[3].

أما الدكتور أحمد زكي بدوي فيذهب إلى أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة[4].

2- بعض التعاريف لعلماء الغرب:

يعرفها عالم الاجتماع هنري مندراس Henri Mendras بقوله أن مصطلح الأسرة في اللغة الفرنسية غير واضح المعالم، وإنما يشير إلى الأشخاص (الأب، الأم والأبناء) المرتبطين معا بروابط الدم، فإننا نعني بكلمة أسرة الأشخاص الذين يعيشون معا في منزل واحد[5]. أما المعهد الوطني الفرنسي العالي للدراسات الاقتصادية بباريس فإنه يعرف الأسرة بأنها تشمل كل الأفراد الذين يتقاسمون سكنا واحدا رئيسيا، والأسرة تتفق كإطار قابل لاستقبال واحد أو عدة أطفال. وهي تستطيع إذن أن تتكون من زوجين (متزوجين أو غير متزوجين)، وقد تكون من فرد بدون شريك وطفل. والأسرة هي كل فرد أعزب وحتى الذين ليس لهم أزواج و لا أطفال يعيشون كلهم داخل هذه الأسرة ومهما كان سنهم، وقد يكون طفل أحد الزوجين، طفلا متبنى، وطفل تحت وصاية أحد الأبوين[6].

أما فرانسوا رنغل وإمانوال بيتمان François Ringel & Emanuel Putman فيعرفان الأسرة على أنها تَجَمُّعْ أفراد بعضهم مع بعض بواسطة رابطة القرابة أو الصلة[(7)].

إن تحليلنا للتعاريف السابقة سواء كانت تعاريف علماء العرب المسلمين أو تعاريف علماء الغرب للأسرة، تنطلق من أنماط ثقافية مختلفة ومتعددة الجوانب لكنها تصب في مفاهيم مشتركة أساسية، من حيث الدوافع الطبيعية المتمثلة، في حب الحياة، وبقاء النوع، وتحقيق الغريزة الجنسية التي ينتج عنها الإنجاب وبالتالي التنشئة الاجتماعية للأطفال. أما بالنسبة للدوافع الاجتماعية فإنها تنطلق سويا من أن الأسرة هي تلك الجماعة الاجتماعية الأولى والتي يحجمها رباط الدم بين الوالدين والأبناء، ورباط الزواج بين الوالدين، وقد تقوم الرابطة على أساس لتبني، وهي أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعي، وهي اكثر الظواهر الاجتماعية انتشارا وعمومية، حيث أنها تتسم بالاستمرارية في الوجود، وتتفق أيضا في أن أعضاء الأسرة يعيشون تحت سقف واحد، تحكمهم عادات ورموز يقرها المجتمع. وما دامت الأسرة هي جماعة اجتماعية فإن أفرادها تحكمهم علاقات اجتماعية متينة تتمثل في العاطفة والود بين الآباء والأبناء، وبينهم وبين أقربائهم وبين هؤلاء وأعضاء المجتمع الآخرين، حيث يسود بينهم الانسجام والتعاون. وتعتبر الأسرة وحدة للتفاعل بين الأشخاص، وذلك بقيام أعضائها بالكثير من الأدوار بين الأفراد

بعضهم بعضا مع مراعاة مكانة كل فرد فيها. وتتفق أيضا في أنها وحدة اقتصادية تتضمن الاستمرار المادي للأسرة، وذلك من حيث تطبيق وظائفها التربوية والخلقية والمعيشية والصحية والتعليمية والنفسية. وفضلا عن اتفاق هذه التعاريف في مجملها حول الدوافع الطبيعية –وبعض– الدوافع الاجتماعية فإنه من اليسير توضيح ذلك فيما يلي:

فبالنسبة للأسرة العربية المسلمة فإنها تتبنى على الزواج الطبيعي والذي أساسه العقد الشرعي «ويحل التمتع ويدعو إلى التعاون والتكامل[8] لأن القصد من الزواج هو الطهارة والعفة وإتمام الإنسان غريزته في الحلال بقوله تعالى: «**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**»[9]. وبقوله تعالى أيضا: «**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** »[10].

هذا الزواج الشرعي الإسلامي والذي يتم بطبيعة الحال بكتاب الله وسنة رسوله يشترط فيه حضور ولي الفتاة كشرط إلزامي قبل العقد وهو ضروري لقوله تعالى: « **فأنكحوهن بإذن أهلهن** »[11].

وتبقى أهمية دور ومكانة الولي أساسية على اعتبار أن عدم حضور الولي في الشريعة الإسلامية يبطل الزواج وإذا نفذ بغير حضوره يكون باطلا وذلك لقول الرسول‌ص :«**لا نكاح إلا بولي**»[12]، ومن متممات الزواج، المهر والذي كان وسيبقى رمزا أكثر مما هو قيمة أو عددا، ذلك الصداق كمرادف للمهر والذي نرى العديد من الكتاب الغربيين يحاولون تشويهه على اعتبار «أنه عقد بيع وأن الزواج الإسلامي هو عبارة عن شراء المرأة ضرورة حتى يتم عقد الزواج[13]»، ويمكن تفسير هذا بمحاولة علماء الغرب تشويه صورة الزواج الإسلامي الشرعي والذي يعتبر فيه الصداق ركنا من أركانه حيث أن الصداق كمرادف للمهر وهو عبارة عن حسن النية ويعتبر إكراما للزوجة المسلمة على عكس تلك المعايشة التي تتم بين الرجل والمرأة والتي تجمعهما فيه طريقة المعايشة الحرة التي تتم بين الرجل والمرأة والتي تجمعهما فيه طريقة التزاوج والذي نعني به المعاشرة التي تتم بين الحيوانات كما تقول سناء الخولي[14]. نقول هذا نتيجة للمعاشرة الحرة التي يولد منها

أطفال غير شرعيين ويسعون إلى حمايتهم، علما بأن ذهنية الانسياق مع هذا الأمر يعد في البلاد العربية الإسلامية موقفا مخالف للدين والأخلاق. إن الزواج بصفاته الشرعية الإسلامية تبنى عليه الأسرة العربية المسلمة بحيث أنها تؤدي وظائفها على أحسن حال مما يساعدها في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال وذلك محاولة منها في تشكيل الأطفال في الأنماط الثقافية السائدة في المتجمع العربي المسلم. أما تعريفات علماء الغرب فإن تفسيرها للأسرة ينبثق من الحضارة المادية والتكنولوجية المسيطرة على العالم (والتي تدعي بالتحضر والعصرنة) في إبراز القيم الفردانية l'individualisme والتي تدعو إلى بعض الحريات التي لا تتفق مع الأخلاق الضامنة لكرامة الإنسان، حيث برزت إلى الوجود فكرة المعايشة الحرة خارج النظام الأسري ويؤكد ذلك تيري بلوس Therry Blôss في كتابه روابط الأسرة:«إن الزوجين يبدآن بالعاطفة والتبادل العقلاني والعلاقات الجنسية خارجة عن كل إطار مؤسسي ومنزلي، هذه المرحلة التمهيدية للإدماج الزواجي تتميز في نفس الوقت بتجديد وتشبيب التبادلات الجنسية وذلك مع التعهد بالزواج مما يسمح لهما أكثر فأكثر بإعداد العلاقات العاطفية والجنسية والمراحل الأخرى الخاصة بالاندماج الزواجي فإنها تأتي مع الوقت»[15].

إن المعايشة الحرة le concubinage تنقص من أهمية التنشئة الاجتماعية للطفل والتي تبدأ من السنوات الأولى من حياته إلى كبر سنه من حيث أنها تعمل على تسريح أطفالها من البيت الأسري ابتداء من سن 15 سنة وهو السن الحقيقي للمراهقة التي تؤدي بالأطفال إلى الدخول في عالم الآفات الاجتماعية على اعتبار أنه لابد أن يتحمل مسؤولياته منذ صغره وهذا ما يزج به إلى الخارج ليتوغل في سلبيات الحياة اللامتناهية بدلا من تنشئتهم تنشئة اجتماعية هادفة، وهذا ما يبدو عند الغربيين بالافتخار بالتطور والعصرنة في تحمل أفرادهم المسؤولية منذ صغرهم مما يحرمهم من استكمال عملية التنشئة الاجتماعية والتي لا تقتصر على السنوات الأولى من عمر الإنسان بل «هي عملية تنشئة مستمرة إذ أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة مستمرة تبعا للمواقف الجديدة التي يتعرض لها طوال حياته بمعنى أن عمليات التفاعل ليست لها نهاية»[16].

هذه الحرية الفردية التي تبعد الأفراد عن العلاقات الاجتماعية الإنسانية وتسمح لهم بوضع الوالدين في الملاجئ والتي تعجز عن القيام بالحقوق الإنسانية الأولية للشيوخ عكس الشريعة الإسلامية والتي تحث على الإحسان بالوالدين تماما

مثل الإحسان بالأولاد، ويصبح واجبا إلزاميا على الأفراد والمجتمعات بقوله تعالى:«**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**»[17].

ومهما يكن فإن المعنى الاجتماعي للأسرة الغربية لا يخرج عن إطاره العام كونها جماعة اجتماعية أولى تضم الزوج والزوجة والأطفال والأقارب ويمكن التأكيد بأنها تعني كل أشكال التجمع سواء بين زوجين تجمعهما علاقات زوجية رسمية وقانونية أو لا تجمعهما هذه العلاقة فهي في نظرهم شرعية مؤسسة على قواعد يقرها المجتمع مما يؤكد آلان دافيد Alain David في كتاب عالم الاجتماع فرانسوا دو سنغلي François de Singly:«أنه طبقا لشهادات المعاشرة غير الشرعية (أو السحاق أو الاشتهاء المماثل) فإنها تتطلب حجة واسعة حيث أن الأسرة لا تستطيع من الآن المطالبة بتأسيسها على أساس الروابط الطبيعية ولكن تفترض إثارة الاستثناء لمعاشرة زواجية حرة بمعنى أنها تكون بدون سابق إنذار ولا تهيئة مسبقة وهل يمكن إعداد الاختلاف البيولوجي بين الرجال والنساء والذي يمكن أن يكون هو آخر خرافاتنا ومعتقداتنا»[18].

ب- مقوماتها:

باعتبار الأسرة مؤسسة اجتماعية فإن لها مقومات أساسية تحمي ثباتها واستمرارها وذلك بفضل تكاملها، كما تساعدها على تأدية أدوارها المختلفة في الحياة وتمكنها من تحقيق توافقها الاجتماعي باعتبارها تتكون من مجموعة أفراد إضافة إلى أنها ركيزة كل النظم الاجتماعية وأن نجاحها يتوقف على هذه المقومات ومنها:

1-المقومات الاقتصادية:

من المتفق عليه أن الجانب الاقتصادي يلعب دورا أساسيا في حياة الأسرة ونجاحها، وذلك لما ينجم عن هذا الجانب المادي من إشباع لحاجات الأسرة المادية الضرورية للعيش، كالسكن وتوفير المواد الغذائية والملبس وغيرهما من اللوازم الضرورية، وكل هذا يتأتى عن كفاية مستوى الدخل لتلبية حاجات الأسرة المتنوعة وذلك للمحافظة على بنائها المادي والنفسي والاجتماعي، ولقد أثبتت بعض

الدراسات ومنها دراسة ويليام بونجر «إلى أن الفقر هو السبب في الانحراف الاجتماعي والذي هو خطر على الأسرة ذاتها وعلى المجتمع وثقافته وتقدمه»، ولذا ولتفادي الأسرة هذا الجانب كما يقول بونجر، عليها استخدام مواردها أحسن استخدام مما يعمل على رفاهيتها واستقرارها في المجتمع حيث أنها تضع صيغة خاصة بين مواردها والطرق التي تتفق بها و يتم ذلك على طريقتين هما[19]:

1) تعديل أهداف الأسرة بما يتحقق ويتفق واحتياجات الأعضاء.

2) استخدام الدخل والموارد الإنسانية بطريقة تحقق أقصى إشباع لأعضاء الأسرة.

إضافة إلى العوامل الاقتصادية ومالها من دور فعال في سعادة الأسرة واستقرارها هو حصولها على مسكن مستقل وملائم يمكنها من الاستقرار أكثر وتأديتها لكامل وظائفها دون إزعاج أو اضطراب، وتجب الإشارة إلى كون السكن اللائق يزيد في استقرار الأسرة بينما السكن السيئ فيعمل على تشتت الأسرة حيث تكثر فيها الانحرافات الاجتماعية نتيجة لضيقه أو نتيجة لنقص المرافق الضرورية للعيش فيه.

2- المقومات النفسية:

من البديهي أن الأسرة هي التي تمثل الإطار النفسي للأفراد والذي يعمل على إشباع حاجاتهم و تحديد سلوكهم مما يضمن لهم الاطمئنان والاستقرار النفسي، ومن أسس المقومات النفسية هناك الاتجاهات والمواقف والروابط التي تربط بين أعضاء الأسرة سواء الزوجين أو الأطفال إن كان يسودها التفاهم والتعاون والاحترام المتبادل بين الجميع. كما أن تحديد سلوك الأسرة ينعكس على الطفل منذ السنوات الأولى من حياته لأن وظيفة الأسرة هي صياغة استعداداته في نمط اجتماعي مقبول والعمل على تجنب نمو السلوك المضاد للمجتمع، فإذا أخفقت الأسرة في تحقيق هذين الغرضين نشأت شخصية عاجزة عن التوفيق بين رغباتها وبين مطالب المجتمع الذي تعيش فيه.

3- المقومات الاجتماعية:

تعتبر المقومات الاجتماعية من العوامل المهمة في تماسك الأسرة وانسجامها وذلك بما تتميز به من الاعتماد المتبادل بين أعضائها، إضافة إلى أنه لا

يمكن الفصل بين أدوار الأمومة والأبوة، فكلما تغيرت وظائف أحد الأبوين يتبعه تغير مباشرة في وظائف الطرف الآخر، بمعنى أنه ينبغي أن تظهر أدوار الأبوين في ضوء الارتباط والتبادل، كما أن الأبوين يلعبان أدوارا متساوية في علاقتهم بالطفل، فبالنسبة للأم تضمن علاقتها بالطفل بعملية متبادلة يؤثر فيها سلوك الأم بالطفل كما يؤثر سلوك الطفل بالأم ونفس الشيء نجده بالنسبة للأب. وبهذه الطريقة تكتمل هيئة الأسرة من حيث وجود الأب والأم والأطفال وما يدور حولهم من علاقات اجتماعية، ولأنه وكما يرى محمود حسن:«أنه لا يمكن أن تنجح الحياة الأسرية إلا إذا شعر الزّوجان بأهمية العلاقات الاجتماعية التي ينسجان خيوطها معا، لأن الرغبة في استمرار هذه العلاقات والروابط الاجتماعية تعني الاستقرار والاطمئنان في الجو الأسري».

4- المقومات الصحية:

إن سلامة الأبوين من الأمراض الجسمية من أهم المقومات التي تؤدي إلى نسل سليم باعتبار أن الخصائص الوراثية تنتقل عن طريق الأبوين إلى الأطفال وذلك من حيث الصحة أو المرض، ومن الدراسات العلمية التي تهدف إلى تطبيق برنامج يضمن لكل فرد تكوينا وراثيا سليما دراسة لغالتون Galton أطلق عليها اسم (علم تحسين النسل) وتهدف دراسته إلى إعداد الأفراد المقبلين على الزواج وحثهم على الوراثة الصالحة والاستعداد الجسمي بأنه هو الركيزة الأساسية في تكوين أسرة سليمة[20].

جـ- وظائفها:

ما دامت الأسرة لها مقومات تحمي ثباتها واستقرارها فإن لها أيضا وظائف تقوم بها في كافة المجتمعات وهي:

1) **التربية:** ما دامت الأسرة تمثل جماعة اجتماعية صغيرة فإنها تحمل نفس السمات الرئيسية للمجتمع الكبير حيث أن هذه السمات تنعكس على الأطفال عن طريق الأسرة باعتبارها هي الجماعة الأولية الأساسية حيث ينمي فيها الطفل اتجاهاته وأنماطه السلوكية والقيم التي يهتدي بها «كما أنها هي الوسيلة الوحيدة المعروفة بالتنشئة الاجتماعية بالنسبة للأطفال وذلك من أجل اكتساب معتقداتهم واتجاهاتهم»[(21)]. إضافة إلى أنها المحور الأساسي لتحقيق الإرضاء والإشباع

الشخصي وذلك بمنحها الأمان والعاطفة لجميع أفرادها، وتصلح أداة رئيسية للضبط الاجتماعي لأنها تستطيع معاقبة الانحراف بشتى أنواعه كونها المصدر الوحيد الذي يمكنه أن يلقن الأفراد بجميع السمات المتمثلة في القيم والأنماط السلوكية التي يهتدي بها.

2) **التربية الجسمية والنفسية والعقلية:** والمقصود بالتربية الجسمية هي تنمية النواحي الجسمية لدى الأطفال لما لهذا الجانب من أهمية، والأسرة هي المسؤول الوحيد الذي يتكفل بتنمية هذا الجانب من حيث اتباع القواعد الصحية السليمة في الحياة اليومية وكل ما يتعلق بها من مأكل ومشرب ونوم وذلك لحماية أجسام أطفالها من الأمراض ووقايتهم منها وعلاجهم عند الحاجة وفي هذا المضمار يقول محمود حسن:«يقوم المجتمع بتفويض الأسرة في تحمل مسؤولية حماية المواليد والأطفال ورعاية حاجاتهم الجسمية وتكامل شخصياتهم»[22].

أما التربية النفسية فبواسطتها يكتسب الفرد شخصية سليمة خالية من الأمراض النفسية لأن إهمال النواحي النفسية من طرف الأسرة سيؤدي حتما إلى نتائج خطيرة على أفرادها وقد ثبت بأن عددا من الأمراض النفسية ترجع إلى ظروف البيئة والحياة التي تعيش فيها الأفراد[23] إضافة إلى العلاقات الأساسية داخل الأسرة تتم في الحقيقة على المستوى العاطفي أساسا، فالطفل يكتسب الإحساس بالأمان إزاء نفسه وإزاء العالم وإزاء الأطفال والكبار المحيطين به من خلال إحساسه بالانتماء المأمون إلى جماعة صغيرة وهي الأسرة التي ينتمي إليها، ولقد حددت الباحثة الاجتماعية ميريام فان ووترز الواجبات الأساسية التي يتحمل البيت عبئ تقديمها للطفل العادي في قولها:

«إن المنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل الذي يغذي طفولته بالطمأنينة ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر ويمكن من الحصول على المستوى الصحي اللازم بما في ذلك عناصر الحماية ويهيئ له الكيان الاجتماعي، ويدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة، كما يدربه على التجارب مع الموافقة الإنسانية التي تبرز العواطف الكبيرة كالحب والخوف والغضب ويغذي فيه فن الحياة في مجتمع صغير- هو الأسرة – تكون فيه العلاقات الإنسانية أولية دافئة، وأخيرا فإن للبيت رسالته الكبرى في فطام الطفل ليس عن صدر أمه في هذه المرة وإنما من الاعتماد على الآخرين بأن يتحرر من الالتصاق

بالحنان والأمن الذي يجدهما داخل البيت حتى لا يفقد الشباب روح النضال والعمل والخدمة في مجال العلاقات الإنسانية في الداخل»[24].

أما التربية العقلية فتعني تنمية النواحي الفكرية التي تساعد الطفل في عملية التفكير في كل ما يتعلق بالثقافة العلمية الحديثة ذلك وفق ما توفره له الأسرة من جو مناسب كمساعدة الوالدين له في إحساسه بالعالم الخارجي ومدى تعريفهم له بالأشياء المجهولة عنده في الحياة وكذلك توفير الوسائل المناسبة لتعليمه والتي تنمي فيه ملكة التفكير كإشباع رغباته بالألعاب المفيدة، كالألعاب الفكرية التي تساعده في تنمية قدراته العقلية. كما تعمل على حرصها بما يتعلق بصحة و سلامة عقول أطفالها وإبعادها عن كل ما يمكن أن يغير عقولهم ويفسدها وهذا ما يؤدي بهم إلى الانحراف وكما تقول سامية الخشاب:«بأن الأسرة هي المسؤول الأول في إبعاد أطفالها عن التيارات المنحرفة»[25].

3) **التربية الخلقية والدينية:** تلعب الأسرة دورا كبيرا في تكوين أخلاق الطفل وفي التأثير عليها من جميع النواحي، وإذ تعتبر الأسرة أول مجتمع يتصل بالطفل ويعده لتقبل الفضائل واجتناب الرذائل، كما أن أولياءه هم المسؤولون عن تربيته على الخلق الحميد وذلك بإبعادهم عن الأطفال المنحرفين وعزلهم عن برامج وسائل الإعلام التي قد تغير وتفسد أخلاقهم. أما التربية الدينية فالأسرة دائما هي الملقن الوحيد لأبناء عقيدة المجتمع التي تعتبر من الركائز الأساسية التي تحفظ كيان المجتمع باعتبار أن العقيدة هي القوة الدافعة إلى القيام بالأعمال السامية وبواسطتها يندفع الأفراد إلى الأعمال الخيرة الإيجابية. تلك هي الوظائف التي تقوم بها الأسرة نحو أطفالها باعتبارها الخلية التي ينجب فيها الطفل وبطريقة قانونية ما عليها إلا أن تطبق الوظائف اللازمة وذلك لرعايتهم وأن تهيئ لهم الجو المناسب للحياة والتي تشمل جميع النواحي النفسية والجسمية والعقلية والخلقية والدينية وبذلك يمكنها إعداد فرد متكامل في كل جوانبه وبالتالي يكون صالحا للمجتمع وأي خلل في أي وظيفة سيؤدي حتما إلى خلل في الوظائف الأخرى.

II- **التنشئة الاجتماعية:** تعريفها، أهدافها، مجالاتها: تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية يتم بواسطتها توجيه الطفل على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأكبر انطلاقا من تنمية قدراته الأساسية التي تبدأ منذ ولادته إلى تنمية سلوكه

الفعلي نحو اكتساب ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه وما تحتويه من قيم ورموز ومعايير مما يساعده على تكوين شخصيته.

أ- **تعريف التنشئة الاجتماعية:** حيث يعرفها سيد عثمان بأنها:«عملية تعلم قائم على تعديل أو تغيير في السلوك نتيجة تعرض لخبرات وممارسات معينة خاصة ما يتعلق بالسلوك الاجتماعي لدى الإنسان وبذلك تكون عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص حيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها»[(26)]. أما تالكوت بارسونز Talcot Parsons فيعرفها بأنها:«عبارة عن عملية التعلم والتلقن والمحاكاة والتوحد مع الأنماط الثقافية، العاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة لا نهاية لها»[27]. ويعرفها طلعت إبراهيم لطفي في كتابه مدخل إلى علم الاجتماع:«بأنها عملية التفاعل الاجتماعي التي نكتسب عن طريقها طرق التفكير والشعور والعمل الضرورية للمشاركة الفعالة داخل المجتمع كما أنها العملية التي عن طريقها نكتسب الثقافة بكل ما تتضمنه من معايير وقيم و رموز»[28].

ومن خلال قراءاتنا لهذه التعاريف تبدو التنشئة الاجتماعية بأنها عملية مهمة بالنسبة للفرد والمجتمع حيث عن طريقها يكتسب الفرد ذاته الاجتماعية وينقل ثقافته من جيل إلى آخر وبها يبني شخصيته ويكتسب أيضا عملية التفاعل الاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها. والتنشئة الاجتماعية عملية مستمرة لا تقتصر على مراحل الطفولة ولكنها تستمر في المراهقة والرشد وحتى الشيخوخة حيث أن الفرد ينتمي باستمرار إلى جماعات جديدة حيث أنه يتعلم دوره الجديد فيها و يكتسب أنماطا جديدة من السلوك وهي عملية تنظم التفاعل والتغير وبالتالي فهي عملية دينامية حيث تعمل على دفع الفرد إلى التفاعل مع أفراد جماعته من حيث الأخذ والعطاء.

ب- أهدافها:

من أبرز الأهداف والأدوار التي تسعى التنشئة الاجتماعية إلى الوصول إليها ما يلي:

1-التدريبات الأساسية لضبط السلوك وأساليب إشباع الحاجات: حيث أن من خلال عملية التنشئة الاجتماعية يكتسب الطفل من أسرته اللغة والعادات والتقاليد

السائدة في مجتمعه والمعاني المرتبطة بأساليب إشباع حاجاته الفطرية والاجتماعية والنفسية.

2-اكتساب معايير اجتماعية والتي تنبثق من أهداف المجتمع وقيمه والتي تحكم سلوك الفرد وتوجهه.

3-تعلم الأدوار الاجتماعية للمحافظة على بقاء المجتمع واستمراره وتحقيق رغبات أفراده وجماعته فإنه لابد من وضع تنظيم خاص للمراكز والأدوار الاجتماعية التي يمارسها و يشغلها الأفراد والجماعات.

4-اكتساب المعرفة والقيم والاتجاهات وكافة أنماط السلوك وحيث أنها تشمل أساليب التعلم و التفكير الخاصة بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان.

5-اكتساب العناصر الثقافية للجماعات والتي تصلح لتكوينه الشخصي.

6-تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي حيث يكتسب الطفل صفاته الاجتماعية و تحويله كذلك من طفل يعتمد على غيره في نموه على فرد ناضج يدرك معنى مسؤوليته.

جـ- مجالاتها:

باعتبار التنشئة الاجتماعية تبدأ من ميلاد الطفل وتنتهي بوفاته وعبر هذه الفترة تتدخل عدة تنظيمات (رسمية وغير رسمية) لنشأته حيث يكون في مرحلته العمرية الأولى مُنْشأ ثم يتحول إلى مُنْشِئ ثم يغدو إلى مُنْشِئ و مُنْشأ في آن واحد.

1- المجال الأسري: فإن أول مجال للتنشئة الاجتماعية للطفل فهو مجال الأسرة وعلى رأسها الوالدان اللذان يقومان بالاعتناء به من حيث تغذيته وملبسه وحمايته كبداية أولى للحياة مما ينمي عنده ثقته بنفسه وبأسرته وعبر هذا الاعتماد يرى الطفل أفراد أسرته عبارة عن رموز مهيمنة في عالمه على اعتبار أنهم يتفاعلون معه بشكل يومي ويستمر على مر الأيام وبالتالي يبدأ في إدراك إشاراتهم وحركاتهم وانفعالاتهم بتطور الوالدين معه في تعلمه السلوك المقبول وغير المقبول، الجيد والرديء وبالتالي يتعلم ردود فعل والديه حول سلوكاتهم السلبية والإيجابية التي ترتسم على سلوكهم وأفعالهم وأقوالهم وتبدأ في الإجابات على تساؤلاتهم عن سلوكاته التي لم تأخذ شكلها النهائي بعد، وبإعداد الأسرة لطفلها نفسيا وجسميا تعمل على إعداده اجتماعيا لكي يكون أحد أفراد المجتمع العام عن طريق اكتسابه الآداب

وتقاليد وأعراف مجتمعه بطبيعة الحال فإنه يكتسب هذا بواسطة والديه وبالتالي تكون الأسرة قد أدمجته في الإطار الثقافي لمجتمعه وتغرس فيه المعتقدات والقيم والأساليب التي يشب عليها و تصبح من مكونات شخصيته.

2- **في المجال المدرسي:** من البديهي أن المؤسسة الاجتماعية الثانية لتنشئة الطفل هي المدرسة والتي تعلم الطفل التنافس مع زملائه، وتقوم المدرسة أيضا بتنشئة تلاميذها على تعلم الوطنية من تاريخ مجتمعهم وتراثه الفكري إلى العادات الشعبية ورموز النظام السياسي لبلدهم باعتبارها المؤسسة الثانية لتنشئة الطفل.

3- **في المجال الإعلامي:** مع تطور وسائل الإعلام المختلفة أصبحت تؤثر على تنشئة الأطفال بشكل واضح خاصة التلفزيون الذي ساعد على تنمية خيالهم ورعرع أحاسيسهم وأذواقهم ومواقفهم واتجاهاتهم.

4- **المجال المهني:** بعد توقف الفرد لتعلمه المدرسة تستمر معه التنشئة حتى وفاته حيث أنها تنطوي على تماثله مع متطلبات عمله أو موقعه الوظيفي حيث طرح ولبرت مور أنواع التنشئة المهنية ومنها الإعداد الأكاديمي المسبق والتأهيل المهني والاشتراط والالتزام[29].

III- الأسرة و التنشئة الاجتماعية للطفل:

باعتبار الأسرة هي الجماعة الاجتماعية الأولى فهي التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية للطفل وخاصة السنوات الأولى من عمره، حيث تلعب دورا أساسيا في توفير الشروط الأفضل لنموه بعد ولادته من رضاعة وتغذية ونظافة وحنان أي أنها تشبع حاجاته ومطالب نموه البيولوجية والاجتماعية والنفسية علما بأنه يوجد داخل الأسرة الواحدة «العديد من السلوكات والتفاعلات التي تدور في داخلها وبالتالي فهي تؤثر سلبا أو إيجابا على تربية الأطفال على اعتبار أنها المؤسسة الأولى في حياته وأنها مستمرة معه طول حياته بطريقة مباشرة إلى أن يشكل أسرة جديدة خاصة به»[30].

وأن الأسرة تغرس في نفس الطفل بصمات العلاقة الفردية والاجتماعية وتعمل على نموه اجتماعيا وذلك عن طريق التفاعل الذي يلعب دورا هاما في تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه نحو اكتساب العلاقات الاجتماعية مع الآخرين لأن مع مرور الوقت يخرج إلى الجماعة التي يلعب معها وينقل لها اتجاهاته الشعورية

واللاشعورية نحو نفسه والوالدين والأطفال الآخرين، هذه الاتجاهات تكونت في مجرى حياته الأسرية[31]. وأن النمو النفسي للطفل يكتمل في إطار أسرته عن طريق التقليد والمشاركة وذلك من خلال اعتماده على والديه واللذان يساعدانه على العلاقات الوجدانية التي تجعله يستكمل الخروج من ذاته وتكمل نموه النفسي والاجتماعي فالحياة الأسرية تؤدي إلى تطبيعه المثالي نحو الروح والعواطف الأسرية من خلال شعوره باهتمام أسرته له مما يؤثر في تكيفه مع نفسه و بيئته ومما يعتبر عاملا مهما لتكوين شخصيته، وهذا ما يؤكده غريب محمد سيد أحمد في كتابه علم الاجتماع ودراسة المجتمع: من أن شخصية الطفل تتأثر إلى حد كبير بأساليب التنشئة الاجتماعية التي يتبعها الآباء في تدريب أطفالهم على المواقف المختلفة التي يتعرض لها الطفل منذ الميلاد وحتى مرحلة الطفولة المتأخرة[32].

الخاتمة :

تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية للطفل حيث أنها تمثل الحضن الاجتماعي الذي يتوفر فيه المناخ المناسب والملائم لتربية الطفل منذ بداية وجوده وذلك لأنها ستمثل النماذج التي ستتشكل وفقا لها تفاعلاته وعلاقاته الاجتماعية و يتأثر لها نموه الانفعالي والعاطفي وكذا أنها تعمل على تلقينه لكل عناصر ثقافتها و ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه. وتذهب إلى أبعد من ذلك حيث أنها تنمي فيه سلوك التفاعل الاجتماعي داخل بيئته الاجتماعية والتي تلقنه معايير اجتماعية تحكم سلوكه مما يساعده على تكوين شخصيته لأن التنشئة الاجتماعية هي عبارة عن عملية مستمرة لا تقتصر على المراحل الأولى من عمر الطفل بل تستمر عبر مراحل نموه مرورا بسن المراهقة وسن الرشد وصولا إلى سن الشيخوخة.

قائمة المراجع:

(1): سناء الخولي: الزواج و العلاقات الأسرية. دار النهضة العربية. بيروت. 1983. ص: 51.
(2): محمود حسن: الأسرة و مشكلاتها. دار النهضة العربية. بيروت. 1981. ص:02.
(3): أميرة منصور يوسف علي: محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية (د.س). ص:43.
(4): عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربي (دراسة في علم الاجتماع الحضري والأسري). دار النهضة العربية. بيروت. 1999. ص:33.
(5) : Mendras Henris : Éléments de sociologie, Armand colin, Paris, 1975, P 155.
(6): Mouchtouris Antigone, La femme, la famille et leurs conflits, réponses institutionnelles et aspirations sociales, l'harmattan, Paris, 1998, P 23.
(7): François Ringel et Emanuel Putman, Droit de la famille, presse universitaire ex Marseille, 1996, P 97.
(8): مجلة المجلس الإسلامي الأعلى (دورية الثقافة الإسلامية). قضايا المرأة بين المبادئ الإسلامية ومعالجة القوانين الوضعية. صاحب المقال سعيدات عبد القادر. عنوان المقال: الشراكة الزوجية و أثرها على البناء الأسري (رؤية مستقبلية) العدد 03 سنة 1420هـ-2000م. الجزائر. ص:501.
(9):سورة الأعراف، الآية : 32.
(10):سورة الحجرات، الآية : 13.
(11):سورة النساء، الآية :25.
(12):محمد عجاج الخطيب و اخرون: نظام الأسرة في الإسلام. مكتبة الفلاح. الكويت. 1985. ص: 91.
(13):Sabine Dirks : La famille Musulmane Turque. Son évolution au 2ème siècle, Paris Mouton – la Haye 1969, P 19.
(14):سناء الخولي:الأسرة و الحياة العائلية. دار النهضة العربية. بيروت. 1984. ص:43.
(15) : Thierry Blôss : Les liens de la famille, sociologie des rapports entre générations, presse universitaire de France, Paris, 1997, P 27-28.
(16):طلعت ابراهيم لطفي: مدخل إلى علم الاجتماع. دار غريب للطباعة و النشر. القاهرة (د.س). ص:136.
(17):
(18) : François de singly, Le soi, le couple et la famille, Nathan, Paris, 2000 P 16.
(19):محمود حسن: الأسرة و مشكلاتها. مرجع سابق. ص:58.
(20):دريد فطيمة: النمو الديمغرافي و سياسة تنظيم النسل في الجزائر. مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في علم التنمية. جامعة قسنطينة. 1994-1995. ص: 141.
(21):سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية. مرجع سابق: 64.
(22):محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها. مرجع سابق. ص: 12.
(23):السيد محمد بدوي: مدخل إلى علم الاجتماع. دار المعرفة الجامعية. القاهرة. 1980. ص: 31.
(24):محمود حسن:مقدمة الخدمة الاجتماعية. دار النهضة العربية. بيروت (د.س). ص: 438.
(25):سامية الخشاب:النظرية الاجتماعية ودراسة المجتمع. دار المعارف. القاهرة. 1982. ص: 152.
(26):حسين عبد الحميد رشوان: الأسرة والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأسرة). مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. 2003. ص: 150.
(27):صلح محمد علي أبو جلو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. دار المسيرة للنشر +والتوزيع. الأردن. 1998. ص: 16.
(28):طلعت ابراهيم لطفي. مرجع سابق. ص: 130.
(29):معن خليل: علم اجتماع الأسرة. دار الشروق. الأردن. 1994. ص: 169.
(30):صالح محمد علي أبو جادو . سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. مرجع سابق. ص:217 و 218.
(31):أنس محمد أحمد قاسم: أطفال بلا أسر. مركز للإسكندرية للكتاب. الإسكندرية. 1998. ص: 13
(32):غريب محمد سيد أحمد:علم الاجتماع و دراسة المجتمع. دار المعرفة الجامعية. 2003. ص: 391.